أثر حروف المعاني
على فهم النص القرآني
(فاء السببية نموذجاً)

إعداد

د/ أسامة عبدالرحيم محمد حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين بأسيوط

أثر حروف المعاني على فهم النص القرآني (فاء السببية نموذجاً)

أسامة عبدالرحيم محمد حسين

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني : a24931181@gmail .com

الملخص:

حروف المعاني لها أثر على فهم النظم القرآني؛ فهي باب فهم اللغة، ونصوصها ، اهتم بها المفسرون ، واختلفوا بفهم بعضها؛ ونتج عن ذلك اختلافهم في فهم النص القرآني.

التمهيد : وبه تعريف الحرف ، وسبب تسميته، وحروف المعاني ، وعملها، وأقسامها، وفاء السببية ، وعملها.

الهدف: جاءت هذه الدراسة ؛ لإبراز جانب صغير من مظاهر فهم، وإعجاز النظم القرآني ما يتصل منه بحرف من حروف المعاني، وهو فاء السببية ، وأثرها في فهم النص القرآني.

وقد تكوّن البحث من مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين : المبحث الأول : يتضمن فاء السببية في جواب النفي ، والمبحث الثاني: يتضمن فاء السببية في جواب الطلب، ويشمل: فاء السببية في جواب الأمر(الدعاء) ، والنهي ، والاستفهام، والترجي ، والتمني، والتحضيض، ثم خاتمة : فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج ، وأهم المصادر ، والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي للشواهد القرآنية ، والمنهج التحليلي الذي يقف أمام هدايات النص القرآني .

النتائج: حروف المعاني لها أثر بالغ في فهم النص القرآني ، فمهما تنوعت اتجاهاتها، وطرق تناولها ، فهي تكشف عن ارتباطات متميزة في معالجة الألفاظ من نواحيها الدلالية المختلفة ، وتربط أجزاء الكلام برابط وثيق ، يصور مدى انسجام ألفاظ القرآن الكريم ، وإعجازه المبهر ، وإخراجه في صورته المتكاملة.

الكلمات المفتاحية: حروف المعاني، فاء السببية، جواب النفي، جواب الطلب .

The effect of the letters of meanings on the understanding of the Qur'anic text (the causality of a model)

Osama Abdel Rahim Mohamed Hussein.

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion in Assiut, Al-Azhar University, Egypt

a24931181@Gmail.com

Abstract :

Introduction: The letters of meanings have an impact on the understanding of the Qur'anic systems; they are the door to understanding the language, and its texts, the commentators were interested in them, and they differed in understanding some of them; and this resulted in their difference in understanding the Qur'anic text.

Preface: It defines the letter, the reason for its name, the letters of the meanings, its work, its divisions, the fulfillment of causality, and its work.

Objective: This study came to highlight a small aspect of the understanding and miracle of the Qur'anic systems related to a letter of meaning, which is the fulfillment of causality, and its impact on the understanding of the Qur'anic text.

The research may consist of an introduction, and a preface, and two sections: the first topic: includes the fulfillment of causation in the answer to the negation, and the second section: includes the fulfillment of causality in the answer to the request, and includes: the fulfillment of causality in the answer to the command (supplication), and the prohibition, and interrogative, and Taraji, and

wishful thinking, and then conclusion: the most important findings of this research of the results, and the most important sources, references, and index of topics.

Methodology: In this research, I followed the inductive approach to the Qur'anic evidence, and the analytical approach that stands in front of the gifts of the Qur'anic text.

Results: The letters of meanings have a great impact on the understanding of the Qur'anic text, no matter how varied their directions, and ways of dealing with them, they reveal distinct links in the treatment of words from their various semantic aspects, and link the parts of speech with a close link, depicting the extent of harmony of the words of the Holy Qur'an, and its dazzling miracle, and its output in its integrated image.

Keywords: Letters of meanings, Fulfillment of causality, Answer of negation, Answer to request.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد؛؛؛**

فإن قراءة القرآن الكريم المبنيَّةَ على التدبر والاستنباط، تمنح القارئ ما تُكِنُّه الآيات من معارف، وهدايات، وتدفعه إلى الامتثال لتوجيهاتها العظيمة.

فالقرآن الكريم بيان معجز، ونبع فياض، تتفجر دلالاته الموحية إلى ما لا نهاية، وفيه بيان ما يحتاج إليه الإنسان في دينه، ودنياه؛ قال تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام ٣٨]، كما أنه يحث دائماً على إعمال العقل والفكر، ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل ٤٤].

هذا، ولغة القرآن الكريم هي محط أنظار الدارسين ومعقدَ اهتمامهم، وذلك لما يجدون فيها من أسرار ، وكنوز، ومن هذه الأسرار والكنوز ما يؤخذ من حروف المعاني ، إذ إن لها أثراً في فهم النظم القرآني .

وهذه الحروف قد تنوعت اتجاهاتها، وطرق تناولها، فهي تكشف عن ارتباطات متميزة في معالجة الألفاظ من نواحيها الدلالية المختلفة، كما أنها تربط أجزاء الكلام برابط وثيق، يصور مدى انسجام ألفاظ القرآن الكريم، وإعجازه المبهر، وإخراجه في صورته المتكاملة.

ومن المعلوم أن موضوع حروف المعاني، ودورها في فهم النص القرآني موضوع كبير، يأخذ أبعاداً هائلة تجعله أكبر من أن يطوي بين دفتي بحث؛ نتيجة تعدد المؤثرات، وجوانب التأثر.

وفي محاولة مني؛ لإبراز جانب صغير من مظاهر فهم، وإعجاز النظم القرآني ما يتصل منه بحروف المعاني، اخترت فاء السببية كنموذج لذلك؛ وذلك بحسبان دلالة فاء السببية على الترتيب، والتعقيب، الرابط بين السبب والمسبب، والدقة اللامُتناهية في الدِّلالة على المعنى المراد، وما تحمله فكرة الترتيب والتعقيب نفسها من وظيفة السببية كذلك.

على معنى أن العلاقة بين طلب الشيء، أو الابتعاد عنه، هو النتيجة الحتمية التي تحدث بعده، فعليها المعول في استنباط، وفهم النص القرآني.

ومهمة هذه الدراسة هي ذكر بعض آيات القرآن الكريم التي وردت فيها فاء السببية، ثم دراستها دراسة مستفيضة؛ من أجل فهم الآية فهماً جيداً؛ ليتأتى لنا الوقوف والمعرفة لجزء يسير من عظمة القرآن الكريم، من خلال التعبير بهذه الفاء، دون غيرها من حروف المعاني.

وذلك وفق منهج التفسير التحليلي الذي يقف أمام هدايات النص القرآني الوارد فيه فاء السببية، معتمداً على أقوال المفسرين في معنى الآيات الكريمة في هذا الشأن، وما ترمي إليه من أهداف، واستنباطات.

وعليه، فقد جاء البحث ضاماً في طياته مبحثين، يسبقهما تمهيد.

أولاً: التمهيد، ويشتمل على:

(١) تعريف الحرف، وسبب تسميته

(٢) حروف المعاني، وعملها، وأقسامها، والفرق بينها وبين حروف المباني.

(٣) فاء السببية، وعملها.

المبحث الأول: فاء السببية في جواب النفي.

المبحث الثاني: فاء السببية في جواب الطلب، ويشمل:-

(١) فاء السببية في جواب الأمر(الدعاء)

(٢) فاء السببية في جواب النهي.

(٣) فاء السببية في جواب الاستفهام.

(٤) فاء السببية في جواب الترجي.

(٥) فاء السببية في جواب التمني.

(٦) فاء السببية في جواب التحضيض

والله أسأل أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر عيوبنا، آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

التمهيد

أولاً: تعريف الحرف، وسبب تسميته

من المقرر أن الحرف " كل لفظ لا يظهر معناه كاملا إلا مع غيره"[١] سواء كان ذلك الغير اسماً أو فعلاً، ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه يوصل معاني الأفعال إلى الأسماء، والأسماء إلى الأسماء؛ ويربط بين الكلمات، فبدونه لا يفهم المراد من الكلام.

وقد ذكر بعض العلماء في تعريف الحرف أنه: كلمة تدل على معنى، في غيرها فقط[٢]، وكذا عرفه الزمخشري، وأضاف: ومن لم ينفك من أسم، أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة، حذف فيها الفعل، واقتصر على الحرف، فجرى مجرى النائب، نحو قولهم نعم، وبلى، وإي[٣].

واختلف النحويون في علة تسميته حرفاً، فقيل: سمي بذلك، لأنه طرف في الكلام، وفضلة، والحرف، في اللغة، هو الطرف، ومنه قولهم: حرف الجبل، أي: طرفه، وهو أعلاه المحدد، وقيل: لأنه يأتي على وجه واحد، والحرف، في اللغة، هو شق الشيء وجنبه ، أي: وجه واحد، ومنه

---

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، لعلى الجارم ومصطفى أمين، الناشر: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٧/١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، المحقق: د/ فخر الدين قباوة – الأستاذ/ محمد نديم فاضل، (٢٠/١)الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، المحقق: د/ علي بو ملحم،(٣٧٩/١) الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [الحج: ١١]، أي: على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء، دون الضراء، والظاهر أنه إنما سمي حرفاً، لأنه طرف في الكلام، كما تقدم، وأما معنى الآية السابقة فهو راجع إلى هذا المعنى، لأن الشاك كأنه على طرف من الاعتقاد، وناحية منه، وإلى ذلك ترجع معاني الحروف كلها(١).

ثانياً: حروف المعاني، وعملها، وأقسامها، والفرق بينها وبين حروف المباني.

حروف المعاني: هي الحروف التي تربط الأسماءَ بالأفعال، والأسماء بالأسماء وتبينُ العلَة التي من أجلها وجبتْ قِلَتُها في الكلام، مع أنها أكثر في الاستعمال، وأقوم دوْراً فيه(٢).

والعلَّة في ذلك أنها يُحتاج إليها في أنفسها، فصارت هذه الحروف كالآلة، وصار القسمان الآخران، اللذان هما الاسم، والفعل، كالعمل الذي هو الغرض في إعداد الآلَة، وأعمالها(٣).

فحروف المعاني تفيد معنى معين، وتربط الأفعال بالأسماء، والأسماء بالأسماء، وتبين العلة في ذلك، فهي كالآلة التي تجمع الأفعال بالأسماء، وتربط بينهما.

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٣).

(٢) المخصص لابن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال(٤/٢٢٥)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٣) المخصص (٤/٢٢٥).

وحروف المعاني تدل على معان في غيرها وتربط بين أجزاء الكلام، وتتركب من حرف، أو أكثر من حروف المباني، وهي أحد أقسام الكلمة الثلاثة، من اسم، وفعل، وحرف[1].

وهي تنقسم إلى قسمين: عاملة، ومهملة، فالعاملة هي حروف الجزم، والنصب والجر، والنواسخ، كـ(لم، لن، من، إنّ) وما سواها حروف عاطلة مهملة، وكل حرف يحمل معنى، وهناك حروف تتعدد معانيها حسب السياق.

وحروف المعاني: (هي التي تفيد معنى كسين الاستقبال وغيرها، سميت بها للمعنى المخْتص بها، أو لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء، إذ لو لم يكن (من) و (إلى) في قولك: (خرجت من البصرة إلى الكوفة) لم يفهم ابْتِداء خروجك وانتهاؤه، أو لأن لها معاني كالباء في (بزيد) بخلاف الباء في (بكر)، فهي من حروف المباني التي تبنى منها الكمات)[2].

وحروف المعاني منحصرة في خمسة أقسام: (أحادي وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي)[3].

فأما ما بُني من الحروف على حرفٍ واحد، فمثل: باء القسم، وتائه، وواوه؛ كقولك: باللّاه، وتاللّاه، ووالـلّاه، وواو العطف، وكاف التشبيه، ونحو ذلك، وأما ما بُني على حرفين من حروف المعاني، فمثل: هل،

---

(١) المعجم الوسيط (١٦٧/١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

(٢) الكليات لأبي البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري (ص: ٣٩٤)، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣) الجنى الداني (ص: ٢٨).

ومِن، وقد، وأما ما بُني من الحروف على ثلاثة، فمثل: ليت، وسوف، ومنذ، وقد جاءت أحرف رباعية بحرف اللين، وهي: حَتَّى، وإلَّا، وأمّا[١]، ومن الخماسي حرف (لكن)، ولكن مركبة؛ أصلها لكن أن، فطرحت الهمزة ونون لكن[٢].

ويظهر الفرق بين حروف المعاني ، وحروف المباني ، فيما يأتي:-

(١)عدد حروف المباني ثمانية وعشرون حرفاً، أما حروف المعاني فقد تزيد عن خمسين حرفاً[٣]

(٢)حروف المباني هي الحروف الهجائية التي تبنى منها الكلمة، فهي أبعاض الكلمة ، أما حروف المعاني ، فهي من أنواع الكلم[٤] .

(٣)حروف المباني لا تزيد على حرف واحد، بينما حروف المعاني منها (أحادي وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي)

(٤)حروف المباني حروف مجردة ، ألف، باء ، قاف، وليس للحرف

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ)، المحقق: د/ حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د/ يوسف محمد عبد الله (٨٩/١)، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢) الجنى الداني (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية ، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ٣٨٨/١، الناشر : دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

(٤) ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل ١١٤/١، لمحمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

منها معنى مستقل في نفسه ، أما حروف المعاني فهي ذات دلالات ومعانى معينة .

ثالثاً: فاء السببية وعملها

هذه الفاء لها تأثير عظيم في ربط السبب بالمسبب، والمقدمات بالنتائج؛ فتثير في نفس السامع دافعاً قوياً بالكف عن الشيء، أو الحض على فعله؛ ولذا جاءت في القرآن الكريم من أجل ذلك الغرض، ووقعت موقعاً مؤثراً في الكلام، ولو أردنا أن نبدل هذه الفاء بغيرها من الحروف؛ لاختل نظم الكلام، فيؤدي معنى غير معناه المراد، ولو أدى المعنى المراد؛ لما كان له هذا التأثير العجيب في البيان، والإعجاز الواضح في تنسيق الكلام، كما سيتضح ذلك في الآيات القرآنية محل البحث.

وفاء السببية حرف من حروف المعاني، يكون ما قبلها سبب لما بعدها، وتكون مسبوقة بطلب، أو نفي.

وبالمثال يتضح المقال؛ فلو قلنا (افعل الخير فتنالَ الأجر)، نجد أن كلمة (فتنالَ) مسبوقة بفاء تفيد أن ما قبلها سبب في حصول ما بعدها، ففعل الخير سبب في نيل الأجر، من أجل ذلك سميت هذه الفاء فاء السببية.

وإذا تأملنا هذه الفاء في هذه الجملة التي معنا، وجدناها مسبوقة بطلب، وهو فعل الخير، ونتأمل بعد ذلك آخر الفعل المضارع بعد هذه الفاء نجده منصوباً، ولكننا لا نرى قبله أداة ظاهرة من أدوات النصب المعروفة، فلا بد أن يكون الناصب محذوفاً وهو واجب الحذف؛ لأن الناصب لا يظهر بعد هذه الفاء بحال من الأحوال.

وكذلك لو قلنا (لم يكسل فيرسبَ) فإذا تأملنا هذه الفاء في هذه الجملة، وجدناها مسبوقة بنفي، فالكسل في هذا المثال سبب في الرسوب،

فنفى ذلك، ونجد أن آخر الفعل المضارع بعد هذه الفاء منصوباً، والناصب محذوفاً وجوباً كذلك.

ومن هنا نصل إلى قاعدتنا وهي أن فاء السببية هي التي تكون (مسبوقة بنفي محض أو طلب بالفعل) .

فالنفي كقوله تعالى: ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ [فَاطر: ٣٦]، وقولك: (ما تأْتِينا فتحدثنا).

واشترطنا كونه محْضاً احترازاً من نحو: (ما تزال تأْتِينَا فتحدثنا) و(ما تأْتينَا إلَّا فتحدثنا؛ فإن معناهما الإثبات؛ فلذلك وجب رفعها.

أما الأول: فلأَن زالَ للنَّفي وقد دخل عليه النفي، ونفي النفي إثبات، وأما الثاني فلانتقاض النَّفي بإلا.

وأما الطلب: فإنه يشمل الأمر، والنهي، والتحضيض، والتمني، والترجي، والدعاء، والاستفهام)[(١)].

والمعطوف بالفاء إما أن يكون مفرداً، أو جملة، والمفرد: صفة، وغير صفة، فالأقسام ثلاثة، فإن عطفت مفرداً غير صفة لم تدل على السببية. نحو: قام زيد فعمرو، وإن عطفت جملة، أو صفة، دلت على السببية غالباً، نحو: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥][(٢)].

---

(١) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد (٧١/١)، الناشر: القاهرة الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.

(٢) الجنى الداني (ص: ٦٤).

فإن لم تكن الفاء للسببية، بل كانت للعطف على الفعل قبلها، أو كانت للاستئناف لم ينصب الفعل بعدها بأن مضمرة، بل يعرب في الحالة الأولى بإعراب ما عطف عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٦]، أي ليس هناك إذن لهم، ولا اعتذار منهم، ويرفع في الحالة الأخرى، كقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [يس: ٨٢] برفع المضارع، "يغفر" بعد فاء الاستئناف(١)، على قراءة الرفع، قال البيضاوي: وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف، وجزمهما الباقون عطفاً على جواب الشرط(٢)

من هنا ندرك أن حرف الفاء له معاني كثيرة، فقد تكون الفاء عاطفة، أو مستأنفة، أو سببية، أو غير ذلك، والذي يعنينا هنا فاء السببية، وهي التي يكون ما قبلها سبب في حصول ما بعدها، والطلب يشمل الأمر، والنهي، والتحضيض، والتمني، والترجي، والدعاء، والاستفهام، ويكون الفعل المضارع بعد هذه الفاء منصوباً بأن مضمرة وجوباً؛ لأن الناصب لا يظهر بعد هذه الفاء بحال من الأحوال.

---

(١) النحو الوافي، لعباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)٤/٤٧٧
الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (١/ ١٦٥) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ،

المبحث الأول

فاء السببية في جواب النفي

الموضع الأول

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

والمعنى: لا تُبعدْ هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأَخِصَّاءك، كما قال: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الْكَهْفِ: ٢٨](١).

ثم قال: ﴿ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ قيل: الضمير في حسابهم للذين يدعون، وقيل: للمشركين، والمعنى على هذا لا تحاسب عنهم، ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم، والأوّل أرجح، لقوله:(وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) [هود: ٢٩]، وقوله:(إِنْ حِسابُهُمْ إِلَّا عَلى رَبِّي)

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، المحقق: سامي بن محمد سلامة(٣/٢٥٩)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

[الشعراء: ١١٣] ، والمعنى على هذا أنّ الله هو الذي يحاسبهم ، فلأي شيء تطردهم[١].

وكان سبب نزول الآية الكريمة، أن المشركين استنكفوا أن يسمعوا لرسول الله -ﷺ- ومعه فقراء المسلمين، روى مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص قال: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ -ﷻ- الآية "[٢].

والشاهد في قوله: ﴿ ما عَلَيْكَ ﴾ فـ (ما) نافية، و ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ مضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية في جواب النفي، قال جمهور العلماء: وقوله: ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني بطردهم عنك، وعن مجلسك، فقوله: فتطردهم، جواب النفي، وهو قوله: ﴿ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، جواب النهي، وهو قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾[٣].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور/ عبد الله الخالدي (٢٦٢/١)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي (١٨٧٨/٤) ، كتاب: فضائل الصحابة -ﷺ-، باب: فضل سعد بن أبي وقاص-ﷺ-، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢٨/٢)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد (٢٩٦/٢)، الناشر: دار ==

وقد ذكر ابن عاشور أن قوله (فتطردهم) منصوب على جواب النهي ، الذي في قوله(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) وإعادة فعل الطرد دون الاقتصار على قوله (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)، لإفادة تأكيد ذلك النهي، وَلِيُبْنَى عليه قوله(فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)، لوقوع طول الفصل بين التَّفْرِيعِ وَالْمُفَرَّعِ عليه ؛ فحصل بإعادة فعل (فَتَطْرُدَهُمْ) غرضان لفظي، ومعنوي) ثم عاد فجوّز أن يكون في جواب النفي ، كما ذكر جمهور المفسرين ، وهو الراجح.

قال ابن عادل: قوله: ﴿ فتطردهم ﴾: منْصوبٌ على جواب [النفي] بأحد معنيين فقط، وهو انتفاءُ الطرد لانتفاءِ كون حسابهم عليه، وحسابه عليهم؛ لأنه ينْتفِي المُسبَّبُ بانتفاء سببه، ولنوضح ذلك في مثال وهو: «ما تَأْتِينَا فَنُحَدَّثَنَا» بنصب «فتحدِّثنا» وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: انتفاء الإتيان، وانتفاء الحديث، كأنه قيل: ما يكون منك إتيان، فكيف يقعُ منك حديث؟ وهذا المعنى هو المقصود بالآية الكريمة، أي: ما يكون مُؤاخذة كل واحد بحساب صاحبه، فكيف يقع طرد ؟

==

الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، (ت ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين (١١٦/٢) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٦٢/١)، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٥٠٧/١) للنسفي (ت ٧١٠هـ)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٣٩/٣) لأبي السعود (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والمعنى الثاني: انتفاء الحديث، وثبوت الإتيان، كأنه قيل: ما تأتينا مُحدّثاً، بل تأتينا غير مُحَدّثٍ، وهذا المعنى لا يليق الآية الكريمة، والعُلماءُ – رحمهم الله – وإن أطلقوا قولهم: إنه منصوب على جواب النفي، فإنَّما يريدون المعنى الأول، دون الثاني(١).

فالنفي متقدم في قوله: ﴿ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ثم أجاب النفي؛ مسبباً عنه فقال: ﴿ فتطردهم ﴾، وجاء بالفاء السببية هنا دون غيرها، من حروف المعاني؛ زيادة في التنفير على وجه التسبيب؛ لأن كونه ظالماً، مسبب عن طردهم؛ فوقع موقعاً جميلاً.

والمعنى: ما يكون مُؤاخذة كل واحد بحساب صاحبه، فكيف يقع طرد؟ وقد امتثل –ﷺ– لهذا الأمر، فكان يجلس مع فقراء المسلمين، ويحسن معاملتهم، ويلين جانبه معهم، فكانوا أكثر أهل المجلس الذي يجلس فيه، فسبحان من رباه وعلمه، وأدبه، فأحسن تأديبه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٦٧/٨)،

الموضع الثاني

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

ذكر المولى – تعالى– في الآيات السابقة حال السعداء(١)، وشرع في هذه الآية في ذكر مآل الأشقياء التعساء، فذكر أنهم يخلدون في النار، فالإنسان ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا ﴾ [طه: ٧٤]، ومهما مكثوا فيها ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ جاءهم الجواب: ﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فقال سبحانه {والذين كفروا} أي: ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الآيات وأنوار الدلالات {لهم نار جهنم} أي: بما تجهموا أولياء الله الدعاة إليه {لا يقضي} أي: يحكم {عليهم} أي: بموت ثان {فيموتوا} أي: فيتسبب عن القضاء موتهم؛ فيستريحوا (٢).

و ﴿ لا ﴾ نافية، و ﴿ يُقْضى ﴾ مضارع مبني للمجهول، مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، و ﴿ فَيَمُوتُوا ﴾ الفاء فاء السببية ومضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ الآيات [فاطر:٢٩].

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٣/ ٣٣٠) للخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

قال العلماء: ﴿ فَيَمُوتُوا ﴾ جواب النفي على العامة، ونصبه بإضمار أن[1].

فالكافرون لا يقضي المولى -ﷻ- عليهم قضاءً تاماً؛ لجرم ما فعلوه في الدنيا، وعنادهم، واستكبارهم، وعدم انصياعهم للحق المبين، وشدة النار تستوجب نهايتهم بسرعة، وازهاق أرواحهم - كما في الدنيا - ولكنه - تعالى - نفى القضاء عليهم بالموت؛ حتى لا يستريحوا من العذاب في جميع الأوقات واللحظات.

فنفي القضاء عليهم بلا النافية ﴿ لا يقضى ﴾ وذكر جواب النفي مقترناً بفاء السببية، المبينة للسبب، وارتباط ما قبلها بما بعدها، وهو على أحد معنيي نصب (ما تأتينا فتحدثنا) أي: ما يكون منك إتيان ، فلا يقع حديث، انتفى السبب وهو الإتيان؛ فانتفى مسبَبه وهو الحديث ، وهنا انتفى القضاء عليهم ؛ فانتفى مسببه وهو الموت ، فجملة النفي والجواب، جاءت زيادة في البيان والحسرة ﴿ فيموتوا ﴾ أي حتى لا يموتون،[2]؛ فكان لهذه الفاء تأثير في زيادة الحسرة عليهم، والندامة لديهم.

---

(١) ينظر: الكشاف (٦١٥/٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٦٠/٤)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط (٢٣٤/٩)، الناشر: دار القلم، دمشق، اللباب في علوم الكتاب (١٤٥/١٦).

(٢) أما الوجه الآخر المرفوض هنا المعنى الثاني، وهو إثبات الإتيان ، ونفي الحديث ، أي: ما تأتينا محدّثاً، بل تأتينا غير محدث، فهذا لا يجوز في الآية الكريمة ، فيكون المعنى - والله أعلم- لا يقضى عليهم ميتين ، بل يقضى عليهم غير ميتين ، وهو تناقض.

نسأل الله العظيم أن ينجينا من النار، ويثبتنا على الحق، برحمته ومنّه ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

المبحث الثاني

فاء السببية في جواب الطلب

أولاً: فاء السببية في جواب الأمر(الدعاء)

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].

يخبر المولى – تعالى – عما دعا به موسى –عليه السلام– على فرعون وقومه؛ لما أصروا على الكبر، والضلال، والكفر، فيقول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾ أي: (من أثاث الدنيا ومتاعها ﴿ وَأَمْوَالًا ﴾ كثيرة ﴿ فِي ﴾ هذهِ ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ أي: لِيَفْتَتِنَ بما أعطيتهم من شئت من خلقك، لِيَظُنَّ من أغويته أنك إنما أعطيت هؤلاء هذا لِحُبِّك إياهم، واعتنائك بهم)[1].

قال النسفي: قوله: ﴿ رَبَّنَا اطمس على أموالهم ﴾ أي: أهلكها، وأذهب آثارها؛ لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك، والطمس المحو والهلاك، قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة، كهيئاتها منقوشة، وقيل وسائر أموالهم كذلك.

﴿ واشدد على قُلُوبِهِمْ ﴾ اطبع على قلوبهم، واجعلها قاسية ﴿ فَلاَ يُؤْمِنُواْ ﴾ جواب الدعاء الذي هو اشدد ﴿ حتى يَرَوُاْ العذاب الأليم ﴾ إلى أن يروا العذاب الأليم، وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق، وكان ذلك إيمان يأس؛ فلم يقبل، وإنما دعا عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم، وعلم بالوحي أنهم لا يؤمنون، فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون، فلا يسع له

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٠).

أن يدعو بهذا الدعاء؛ لأنه أرسل إليهم؛ ليدعوهم إلى الإيمان وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر، لا يكون كفراً[١].

فقوله: ﴿ اطْمِسْ ﴾ فعل دعاء، وفاعله مستتر، وقوله: ﴿ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ ﴾ معطوف على ما قبله، و ﴿ فَلا ﴾ الفاء فاء السببية، و (لا) نافية ﴿ يُؤْمِنُوا ﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفاعله واو الجماعة.

فقوله تعالى: ﴿ فَلاَ يُؤْمِنُواْ ﴾ (جواب للدعاء، أو دعاء بلفظ النهي)[٢]، وقال الثعالبي: وقيل: منصوبٌ في جواب الأمر[٣]، والأمر هنا خرج من معناه الحقيقي، وهو طلب الشيء، إلى معناه المجازي، وهو الدعاء؛ لأن الطالب يكون أعلى من المطلوب منه، وهنا الطالب موسى من ربه -ﷺ- فخرج من الحقيقة إلى المجاز، وهو الدعاء.

فقوله تعالى: ﴿ فَلاَ يُؤْمِنُواْ ﴾ جواب الأمر الذي هو دعاء من سيدنا موسى -عليه السلام- لربه، وكان هذا الجواب مقترناً بفاء السببية؛ كي يربط بين السبب والمسبب، وهذا على وجه النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، أو العطف على «لِيُضِلُّوا» ، ويكون قوله (ربنا اطمس) اعتراضاً.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/٣٨).

(٢) محاسن التأويل (ت ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود (٦/٥٧)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ محمد علي معوض والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود (٣/٢٦٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

أما الجزم فعلى وجه الدعاء عليهم، على أن (لا) التي يسميها النحاة ناهية، هي بالنسبة لله- تعالى- للدعاء.

فنصبه على جواب الدُّعاء في قوله: «اطْمِسْ»، ويكون الفعل (اشدد) و (اطمس) في حاجة إلى جواب، فكان الجواب مقترناً بفاء السببية﴿ فَلاَ يُؤْمِنُواْ ﴾.

فتدمير الأموال، وهلاكها، خسران يؤدي إلى غياب العقل، ويشل التفكير، ويدعو للطغيان، والطبع على القلوب، وجعلها قاسية،؛ هما السببان في عدم الإيمان، فكأن قلوبهم طبع عليها، وختم، فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها الكفر؛ لذا كان اقتران الجواب بفاء السببية، في غاية الإبداع والدقة.

وقد كان، فلم يؤمن فرعون وقومه؛ حتى غرقوا في البحر ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ [طه: ٧٨: ٧٩].

ثانياً: فاء السببية في جواب النهي

الموضع الأول

قال الله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

ذكر –تعالى– أنه وهب نبيه داود –عليه السلام– الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك، مقصوداً، فقال تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ والمعنى: (يا داود إنا جعلناك – بفضلنا ومنتنا – خليفة ونائباً عنا في الأرض، لتتولى سياسة الناس، ولترشدهم إلى الصراط المستقيم، وتحكم – يا داود – بين الناس بالحكم الحق الذي أرشدك الله –تعالى– إليه، ولا تتبع هوى النفس، وشهواتها، فإن النفس أمارة بالسوء.

وقوله –سبحانه–: ﴿ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ بيان للمصير السيئ الذي يؤدى إليه اتباع الهوى في الأقوال والأحكام.

ثم بين –سبحانه– عاقبة الذين يضلون عن سبيله فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ ﴾ أي: إن الذين يضلون عن دين الله، وعن طريقه، وشريعته، بسبب اتباعهم للهوى، لهم عذاب شديد، لا يعلم مقداره إلا الله –تعالى– لأنهم تركوا الاستعداد ليوم الحساب، وما فيه من ثواب وعقاب)[١].

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/١٤٨) للدكتور/ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

قال أبو حيان: و ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾: جواب النهي، والفاعل في ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ ضمير الهوى، أو ضمير المصدر المفهوم من ﴿ وَلا تَتَّبِعِ ﴾، أي فيضلك اتباع الهوى(١).

ولمَّا ذكر ما ترتب على اتباع الهوى، وهو الإضلال عن سبيل الله، ذكر عقاب الضال فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ ﴾ أي: بسبب نسيانهم، وهو ضلالهم عن السبيل، فإن تذكره يقتضي ملازمة الحق، ومخالفة الهوى(٢).

و﴿ لا ﴾ ناهية، و ﴿ تَتَّبِعِ ﴾ مضارع مجزوم بـ (لا)، وفاعله مستتر، وقوله: ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ الفاء فاء السببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة، والكاف مفعوله والفاعل مستتر، قال ابن عاشور: وانتصب ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ بعد فاء السببية في جواب النهي، ومعنى جواب النهي جواب المنهي عنه، وهو اتباع الهوى، فهو السبب في الضلال، وليس النهي سببًا في الضلال، وهذا بخلاف طريقة الجزم في جواب النهي (٣).

فحذر -ﷺ- نبيه داوود – عليه السلام- من اتباع الهوى، المفضي إلى مجانبة الصواب والحق، فاتباع الهوى يضل الإنسان عن مشاهدة الحق والحقيقة، واتباع الهوى ، وموافقة الصواب ضدان، لا يجتمعان، والتجرد هو الموصل للصواب؛ لذا جاء النهي ﴿ لا تتبع ﴾ وجوابه مقترناً

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ، المحقق: صدقي محمد جميل (١٥٢/٩)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير البيضاوي (٢٨/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤٥/٢٣) للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

بفاء السببية ﴿ فيضلك ﴾؛ ليبين أنهما طرفي نقيض، إما التجرد ، وإما الضلال، فانظر إلى الفعل (يضل)، وانظر إلى فاء السببية المتقدمة عليه، وانظر كيف تؤثر في نفس السامع، وتنفره من اتباع الهوى، وانظر إلى ترتيب الكلمات، بل انظر إلى ترتيب الحروف، واختيار هذا الحرف في هذا المكان، إنه – بلا شك – تنزيل من عزيز حكيم.

فالفاء رتبت وقوع الضلال على اتباع الهوى، فنهت عنه، بخلاف الواو التي تقتضي العطف، والسين التي للاستقبال، وغيرهما من الحروف، فلم يكن بد من وجود فاء السببية هنا؛ لينسجم الكلام، ويتلاءم مع بعضه، ويظهر بهذه الصورة البديعة.

فكان اقتران فاء السببية بجواب النهي؛ مؤثراً في التنفير من اتباع الهوى في الحكم بين الناس، وهذا الإعجاز في ربط الكلام، والجمل بفاء السببية، أسلوب يزخر به النظم القرآني، وهو أسلوب بلاغي معجز، يلائم الحال، ويقتضيه السياق.

الموضع الثاني

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

لما بين -ﷺ- كثيراً من الأوامر العظام، والشرائع المهمة الكبار[١] ،أشار إليها، وإلى ما هو أعم منها فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ يعني:" وأن هذا الذي وصيتكم به، وأمرتكم به، طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي، مستقيما يعني، قويماً، لا اعوجاج فيه؛ فاتبعوه، واعملوا به "[٢].

ولما كان الأمر باتباعه متضمناً للنهي عن غيره، صرح به تأكيداً لأمره فقال: ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ أي المتشعبة عن الأهوية، المفرقة بين العباد، ولذا قال مسبباً ﴿ فتفرق بكم ﴾ أي تلك السبل الباطلة ﴿ عن سبيله ﴾[٣]، يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه، وطريقه، الذي ارتضاه لعباده ﴿ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾ يعني باتباع دينه، وصراطه، الذي لا اعوجاج فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يعني الطرق المختلفة، والسبل المضلة[٤].

---

(١) أي في قوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)(الأنعام: ١٥١)، وما بعدها.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (١٧٣/٢).

(٣) نظم الدرر (٣٢١/٧).

(٤) تفسير الخازن (١٧٣/٢).

قال ابن عادل: قوله: ﴿ فتفَرَّق ﴾ منصوب بإضمار «أنْ» بعد الفاء في جواب النهي [١].

فالشاهد في قوله: ﴿ فتفرق ﴾ حيث وقع الجواب بفاء السببية، فأفادت ترتب النتيجة على المقدمة ترتيباً لائقاً، (فقوله: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ لا ناهية، وفعل مضارع مجزوم، وقوله ﴿ فَتَفَرَّقَ ﴾ مضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية، أصلها تتفرق، والتقدير، ليكن منكم اتباع، وعدم تفرق[٢].

فالأمر جاء بالالتزام بالدين الإسلامي، عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ومعاملات، وآداباً، والنهي عما يخالفه، وسبب عن ذلك؛ التفرق والضلال؛ ولذا جاء جواب النهي بفاء السببية، الرابطة بين السبب والمسبب ﴿ فتفرق ﴾ وكأنها قضية لا تقبل القسمة على اثنين، فإما اتباع هذا الطريق المستقيم، وإلا قادك الطريق الآخر إلى طرق شتى، جميعها لا يهدي، ولا يوصل إلى الحق المنشود.

إن وجود الفاء هنا له دلالة وإيحاء، فيدل على الالتزام الكامل بما جاء به الشرع، والنهي عن الاختراع في الدين، وإيحاء للإنسان أنه إذا لم ينته عن اتباع البدع ، والضلالات الفاسدة، والطرق المختلفة المتشعبة، قاده ذلك لا محالة إلى التفرق عن صراط الله المستقيم، وهو دين الإسلام، فمن سلك الطريق المستقيم نجا، ومن خرج إلى تلك الطّرُق أفضت به إلى طرق لا تنتهي، وبالتالي ضل، ويضل.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٥١٨/٨).

(٢) إعراب القرآن (٣٤٥/١)، للدعاس، دار المنير ودار الفارابي، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

نسأل الله أن يجنبا السبل، ويثبتنا على صراطه المستقيم، آمين.

الموضع الثالث

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

يأمر المولى – تعالى – في هذه الآية الكريمة، عباده بالطاعة التامة له، ولرسوله محمد -ﷺ- فطاعة الله ورسوله، هما أساس الفلاح والنجاح، ويأمرهم كذلك بعدم التنازع، المفضي إلى الفشل، والضعف، وذهاب القوة، قال النسفي: " ﴿ وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ ﴾ في الأمر بالجهاد، والثبات مع العدو، وغيرهما ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴾ فتجبنوا، وهو منصوب بإضمار (أن)، ويدل عليه ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي: دولتكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: معينهم وحافظهم" [(١)].

فالنهي وارد في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا ﴾ فهو فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، وقوله: ﴿ فَتَفْشَلُوا ﴾ مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، قال ابن عطية: " و ﴿ فَتَفْشَلُوا ﴾ نصب بالفاء في جواب النهي "[(٢)]، والتقدير: لا يكن تنازع ؛ ففشل.

فهذا هو الطريق الذي رسمه الله – تعالى- للمؤمنين في كل عصر ومصر، إنه طريق الصلاح، والفلاح، فالثبات في كل الأمور من أعظم وسائل النجاح، والمداومة على الذكر، تصل العبد بخالقه – سبحانه- فلا يهاب شيئاً، والالتزام بالطاعة لله ورسوله في كل الأمور، هما أساس

(١) تفسير النسفي (٦٤٩/١).

(٢) تفسير ابن عطية (٥٣٦/٢).

الوصول إلى البغية.

كما أن طريق التنازع والاختلاف يسبب الفشل، والضعف، والهزيمة في كل المعارك الحسية، والمعنوية كذلك؛ فجاء النهي – هنا – عن التنازع، والاختلاف المفضي، إلى الفشل الذريع، وكأن التنازع ، والاختلاف ليس له نتيجة، إلا الفشل في كل الأمور.

وقد جاء الجواب مقترناً بفاء السببية، الدالة على أن سبب الفشل والضعف؛ التنازع والاختلاف، ولم يأت الجواب مقترناً بأي حرف آخر من حروف المعاني؛ لأنه لا يؤدي المعنى اللائق الذي يربط النتيجة بسببها، كما تؤديه فاء السببية، ولا يحذر التحذير المطلوب من التنازع والاختلاف، كما هو واضح، كما أن وضعها في الأصل للترتيب والتعقيب يفيد سرعة مسبب التنازع، مما يدل على أن الالتزام بشرع الله – تعالى– هو الطريق القويم، الحافظ من التفرق ، والتشرذم .

الموضع الرابع

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

جاء النهي للمسلمين في هذه الآية عن الركون، والميل للظالمين، فليس النهي للظلم ذاته، بل الميل والركون لأهله، والنهى " متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم "[(١)].

وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلماً كذلك، فما ظنك بالركون إلى الظالمين، أي: الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه، ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم، والتهديد عليه [(٢)].

فقوله: ﴿ وَلا ﴾ لا، ناهية، و﴿ تَرْكَنُوا ﴾ مضارع مجزوم بحذف النون، وقوله: ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ الفاء فاء السببية، ومضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية، والكاف مفعوله.

قال العلماء: وقوله: ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ هو منصوب بإضمار (أنْ) في جواب النهي[(٣)]، فجاء جواب النهي مقترناً بفاء السببية، المثبتة أن الميل والركون للظالمين؛ يسبب الولوج في نار الجحيم، محذراً ومظهراً أن الأمر ليس سهلاً، كما قد يتصوره البعض، قال البقاعي: ﴿ فتمسكم النار ﴾،

---

(١) الكشاف (٤٣٣/٢).

(٢) تفسير البيضاوي (١٥١/٣).

(٣) الدر المصون (٤١٩/٦)، اللباب في علوم الكتاب (٥٩٠/١٠).

أي: فتسبب عن ركونكم إليهم مسُّها لكم، فلا تقدروا على التخلص منها، بنوع حيلة من أنفسكم [١].

فكان وجود فاء السببية هنا في غاية التأثير في النفور، والابتعاد عن هؤلاء الظالمين، على اختلاف طوائفهم، ولولا وجود الفاء هنا في الجواب؛ لما وقعت هذا الموقع من نفوس السامعين؛ فسبحان من أنزل هذا الكلام.

نسأل الله العافية من الظلم، ومن الميل لأهله، آمين.

(١) نظم الدرر (٩/٣٩٤).

الموضع الخامس

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥].

هذه الآية في بداية سورة يوسف -عليه السلام- تحكي لنا ما كان من أمره، وأمر أبيه - عليهما السلام - وقد رأى يوسف رؤيا، قصها على أبيه؛ فحذره من ذكرها أمام إخوته؛ خوفاً عليه من الحسد.

(وتقتضي هذه الآية أن يعقوب -عليه السلام- كان يحس من بنيه حسد يوسف وبغضته، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم؛ خوف أن يشعل بذلك غل صدورهم، فيعملوا الحيلة على هلاكه) [١].

وفي الآية دليل على تحذير المسلم أخاه المسلم، ولا يكون ذلك داخلاً في معنى الغيبة؛ لأنّ يعقوب قد حذَّر يوسف أن يقصَّ رؤياه على إخوته؛ ﴿ فيَكِيدُوا لهُ كيْداً ﴾، وفيها أيضاً: دليل على جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى غائلته حسداً، وفيها أيضاً: دليل على معرفة يعقوب -عليه السلام- بتأويل الرؤيا؛ فإنه علم من تأويلها: أنّه سيظهر عليهم [٢].

فـ (لا) ناهية، وقوله: ﴿ فَيَكِيدُوا ﴾ الفاء: فاء السببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية.

قال العلماء: قوله: ﴿ فَيَكِيدُواْ ﴾ منصوب في جواب النهي، وهو في تقدير شرط وجزاء [٣]، ولذلك قدَّره الزمخشري بقوله: « إنْ قصصتها عليهم

---

(١) المحرر الوجيز (٣/٢٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٧١).

(٣) الدر المصون (٦/٤٣٩)، تفسير أبي السعود (٤/٢٥٢).

كادوك»[١].

والشاهد أن يعقوب -عليه السلام- علم أن هذه الرؤيا بشرى سارة ليوسف، وأن الله - تعالى - سيبلغه من الحكمة، والعلم، مبلغاً عظيماً، ويصطفيه للنبوة، فنهي يوسف بالتحدث بهذا الأمر؛ خوفاً عليه من حسد إخوته، وجاء الجواب بفاء السببية المنبئة على أن التحدث؛ سيسبب لا محالة الحسد والبغي، فكان النهي في غاية التأثير، حيث ورد الجواب بهذه الفاء دون غيرها، قال البقاعي: وأكد النهي فقال: ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾، ثم سبب عن النهي قوله: ﴿ فيكيدوا لك كيداً ﴾[٢].

فكان وجود فاء السببية - هنا - في غاية التأثير في النهي عن التحدث بهذه الرؤيا، والابتعاد عنها؛ لأن ذلك يفضي إلى حسد إخوته له، الذي يقطع أواصر المحبة بين الأخوات، ولولا وجود الفاء هنا في الجواب؛ لما وقعت هذا الموقع من نفس يوسف -عليه السلام-.

(١) الكشاف (٢/٤٤٤).

(٢) نظم الدرر (١٠/١٧).

الموضع السادس

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٩٤].

في الآية الكريمة يحذر – تعالى – من اتخاذ الأيمان دخلاً، أي خديعة ومكراً؛ لئلا تزل قدم بعد ثبوتها، مثَلٌ لمن كان على الاستقامة؛ فحاد عنها، وزلَّ عن طريق الهدى؛ بسبب الأيمان الحانثة، المشتملة على الصد عن سبيل الله؛ لأن الكافر إذا رأى المؤمن قد عاهده، ثم غدر به، لم يبْقَ له وثوق بالدين، فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

فقوله: ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا ﴾ لا ناهية، والفعل المضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: ﴿ فَتَزِلَّ ﴾ الفاء فاء السببية، ومضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية، قال العلماء: وقوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ منصوب بإضمار «أنْ» على جواب النهي[٢].

فلابد من الوفاء بالعهد والميثاق، فلو اتبع الإنسان هواه، ووفى بما شاء، ونقض ما شاء؛ سوف تزل قدمه لا محالة، فبعد أن كان على الحق المبين؛ يضل نفسه، ويضل غيره، قال البقاعي: ﴿ فتزل ﴾ أي: فيكون ذلك سبباً؛ لأن تزل ﴿ قدم بعد ثبوتها ﴾ عن مركزها الذي كانت به من دين ، أو دنيا، فلا يصير لها قرار؛ فتسقط عن مرتبتها [٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥١٥/٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٥١/١٢)، الدر المصون (٢٨٣/٧).

(٣) نظم الدرر (٢٤٦/١١).

وهذا مثل يذكر لكل من وقع في بلاءٍ بعد عافيةٍ، أو سقط في ورطة بعد سلامة، أو محنة بعد نعمة [١].

وقد جاء النهي عن الاستهتار بأيمان الله – تعالى– واتخاذها ستاراً؛ للوصول للمبتغى عن طريق المخادعة؛ فيسقط الإنسان في الهاوية.

وقد جاء جواب النهي بفاء السببية، التي تربط المقدمات بالنتائج، والسبب بالمسبب فجاءت الكلمة ﴿ فتزل ﴾ ولم يقل (وتزل) ويكون المعنى صحيحاً؛ لأن فاء السببية لها تأثير سريع، وعجيب في ربط ما قبلها بما بعدها مباشرة، وليس لغيرها من الحروف هذا التأثير والربط؛ فعز وجل من أنزل هذا الكتاب.

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٢/١٥١).

الموضع السابع

قال الله تعالى: ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً ﴾ [الإسراء: ٢٢].

المراد بالخطاب هنا المكلفون من الأمة، أي: لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكاً ﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا ﴾ على إشراكك ﴿ مَخْذُولا ﴾؛ لأن الرب – تعالى – لا ينصُرك، بل يكلك إلى الذي عبدتَ معه، وهو لا يملك لك ضَرًّا ولا نفعًا؛ لأَنَّ مالكَ الضر والنفع هو الله وحده، لا شريك له[1].

فـ ﴿ لا ﴾ ناهية، و﴿ تَجْعَلْ ﴾ مضارع مجزوم، فاعله مستتر، وقوله: ﴿ فَتَقْعُدَ ﴾ الفاء: فاء السببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفاعله مستتر.

قال ابن عادل: ﴿ فَتَقْعد ﴾: انتصب؛ لأنَّه وقع بعد الفاء؛ جواباً للنهي، وانتصابه بإضمار «أن» كقولك: لا تنقطع عنَّا، فنجفوكَ، والتقدير: لا يكن منك انقطاع؛ فيحصل أن نجفوكَ، فما بعد الفاء متعلَّق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء، وإنَّما سمَّاه النحويون جواباً؛ لكونه مشابهاً للجزاءِ، في أنَّ الثاني مسبَّب عن الأول؛ ألا ترى أنَّ المعنى: إن انقطعت جفوتك، كذلك تقدير الآية، إن جعلت مع الله إلهاً آخر، قعدت مذموماً مخذولاً[2].

فالذي يتخذ رباً من دون الله تعالى، ليس له في الدنيا، ولا في الآخرة، من دون الله ولياً ولا نصيراً؛ لذا جاء النهي هنا ﴿ لا تجعل ﴾ وجاء الجواب بفاء السببية ﴿ فتقعد ﴾؛ ليبين أن الأمر يسير هكذا دائماً،

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٦٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٢/٢٤٧).

فالإشراك يجعل صاحبه مذموماً من المؤمنين، ومن الملائكة المقربين، ومن الله العظيم، ومخذولاً كذلك فلا ناصر ينصره، ولا معين يعينه، ولا مدافع يدفع عنه العذاب، وهذا في هذه الدار، فما بالك بدار القرار.

فالحذر الحذر من الشرك في جميع صوره؛ فيتسبب عنه الخذلان، وهذا مراد الله – تعالى – من الآية الكريمة، وقد جاءت فاء السببية مقترنة بجواب النهي؛ من أجل هذا التحذير والتخويف؛ فكانت في غاية الروعة والجمال.

الموضع الثامن

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ [طه: ٦١].

فبعد أن ذكر -ﷺ- أن موسى -عليه السلام- وفرعون اتفقا على موعد يجتمعان فيه، وهو يوم عيد للأقباط، أردف ذلك بذكر ما دبره فرعون، بعد انصرافه عن المجلس، من أمر السحرة وآلات السحر، وأتى بجميع ذلك، ثم ذكر أن موسى أوعدهم وحذرهم من عذاب، لا قبل لهم به، إن أقدموا على ما هم به عازمون عليه [١].

ومعنى الآية الكريمة: لا تُخَيّلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياءَ لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ أي: يُهلككم بعقوبة، هلاكاً لا بقية له، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾[٢].

فـ ﴿ لا ﴾ ناهية، و﴿ تَفْتَرُوا ﴾ مضارع مجزوم بـ (لا) وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ ﴾ الفاء: فاء السببية، ومضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية والفاعل مستتر، قال العلماء: ونصبه بإضمار (أن) في جواب النهي [٣].

فقد يغفر الله – تعالى – الذنوب للناس ، إلا الافتراء على الغير، فالافتراء على الناس له عقوبة عظيمة عند الله – تعالى – فكيف بالافتراء

---

(١) تفسير المراغي (١٢٣/١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠١/٥).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٩١/١٣)، الدر المصون المكنون (٦١/٨).

على ملك الملوك – سبحانه – والتقوّل عليه.

فقد نصح موسى –عليه السلام– فرعون، وقومه، بعدم الدخول مع الله – تعالى – في معركة هم خاسرون فيها قطعاً، ولكنهم استكبروا ، واتبعوا أهواءهم؛ فكان مصيرهم الهلاك؛ غرقاً في البحر، كما هو معلوم؛ لذا جاء النهي، المقدمات ﴿ لا تفتروا ﴾ مرتبط، بالجواب، النتائج، مقترن بفاء السببية ﴿ فيسحتكم ﴾، والتي تفي بالغرض أكثر من غيرها من الحروف؛ فانظر إلى الفعل (يسحتكم) كيف ينفر من الافتراء على الله – تعالى – وانظر كيف اختار فاء السببية، واقترنها بالفعل، وانظر تأثيرها في نفوس الأصحاء، فسبحان من وضع كل حرف من كتابه في موضعه.

الموضع التاسع

قال الله تعالى: ﴿ كلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ [طه: ٨١].

في الآية التي معنا يذكر المولى – تعالى – نعمه العظيمة، على بني إسرائيل، بعد إنجائهم من فرعون وقومه، فيقول: ﴿ كُلُواْ مِن طيبات ﴾ أي: حلالات ﴿ مَا رزقناكم وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ ﴾ ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم، وتنفقوها في المعاصي، أو لا يظلم بعضكم بعضاً ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴾ عقوبتي ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هوى ﴾ هلك[1].

ف (لا) ناهية، و﴿ تَطْغَوْا ﴾ مضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: ﴿ فَيَحِلَّ ﴾ الفاء فاء السببية و(يحل) [2] مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية، قال الشوكاني: ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ هذا جواب النهي، أي: يَلْزَمُكُم غضبي وينْزلُ بكم، وهو مأخوذ من حلول الدَّيْن، أي: حضور وقت أدائه [3].

---

(١) تفسير النسفي (٢/٣٧٧).

(٢) حلّ يُحل، فأمَّا المحِلّ بِكَسْر الْحَاء فَهُوَ من حَلّ يَحلّ أَي وَجب يجب، قَالَ: الله جلّ وعزّ: {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ} (البَقَرَة: ١٩٦) أَي الْموضع الَّذِي يَحِلّ فِيهِ نحرُه، قلت: يُقَال حَلّ يُحل وحُلُولاً، وقرىء: {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى} بِكَسْر الْحَاء وَضمّهَا، قَالَ الْفراء: وَالْكَسْر فِيهِ أحبُّ إليَّ من الضَّم لِأَن الْحُلُول مَا وَقع، مِن يَحُلَّ، ويَحِلُّ: يجب، وَجَاء التَّفْسِير بِالْوُجُوب لَا بالوقوع، وكلّ صَوَاب (تهذيب اللغة، باب الحاء واللام (٣/ ٢٨٠).

(٣) فتح القدير (٣/٤٤٨) للشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

وقال أبو السعود: ﴿ لاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ ﴾ أي: فيما رزقناكم بالإخلال بشكره، والتعدّي لما حُدّ لكم فيه، كالسرَف، والبطر، والمنع من المستحق ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴾ جواب للنهي، أي: فتلزمَكم عقوبتي، وتجبَ ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هوى ﴾ أي: تردّى وهلك، وقيل: وقع في الهاوية [١].

فالله -ﷻ- جعل للناس الرزق الطيب المبارك، وأمرهم بالأكل منه، ونهى عن الأكل الحرام، والإسراف، وكذلك عدم شكره - تعالى - على هذه النعم، ومنع الحقوق المستحقة فيه؛ فكل من فعل ذلك، وجبت له العقوبة.

والتعدي على حدود الله - تعالى - عامة؛ سبب في وقوع العذاب، والدمار، والهلاك؛ ولذا نهى - هنا - عن ذلك الطغيان، وسبب عنه حلول الغضب؛ فجاء جواب النهي بفاء السببية؛ فوقع موقعاً رائعاً، وأدى الغرض المنشود، ألا وهو التنفير الشديد من الطغيان، والسرف، والبطر، فكان في غاية التهديد والوعيد.

(١) تفسير أبي السعود (٦/٣٣).

الموضع العاشر

قال الله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

يذكر المولى – تعالى – فضله العميم على نساء النبي –ﷺ– في هذه الآية الكريمة، فيقول لهم: يا أمهات المؤمنين، ويا زوجات النبي، قد أعطاكن الله – تعالى – من الفضل، ومن سمو المنزلة، ما لم يعط غيركن، فإنّكن لستن كجماعات النساء؛ فشرفكن عظيم، ومقامكم أسمى، وهذا الشرف، وتلك المكانة، نلتموها بتقوى الله – تعالى – وبالطاعة لله ولرسوله، فبدونها شأنكن شأن جميع النساء.

قال البقاعي: ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ أي: جعلتن بينكن وبين غضب الله، وغضب رسوله، وقاية، ثم سبب عن هذا النفي قوله: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ ﴾ أي: إذا تكلمتن بحضرة أجنبي ﴿ بِالْقَوْلِ ﴾؛ ثم سبب عن الخضوع: قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ﴾ أي: في الخيانة ﴿ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي: فساد وريبة، والتعبير بالطمع للدلالة على أن أمنيته، لا سبب لها في الحقيقة، لأن اللين في كلام النساء خلق لهن، لا تكلف فيه، فأريد من نساء النبي –ﷺ– التكلف للإتيان بضده.

ولما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء في رخامة الصوت، أمرهن بضده فقال: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ أي يعرف أنه بعيد عن محل الطمع [1].

(١) نظم الدرر (١٥/٣٤٤).

فـ (لا) هنا ناهية، و ﴿ تَخْضَعْنَ ﴾ مضارع مبني على السكون؛ لاتصاله بنون النسوة، وقوله ﴿ فَيَطْمَعَ ﴾ الفاء: فاء السببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية.

قال أبو حيان: وقرأ الجمهور: ﴿ فَيَطْمَعَ ﴾، بفتح الميم ونصب العين، جواباً للنهي [١].

وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور ﴿ فَيَطْمَعَ ﴾ بالنصب على أنه نصب بالفاء، في جواب النهي، وقُرأ «فيطمع» بالجزم، وهذه فاء عطف محضة، وكأن النهي دون جواب ظاهر، وقراءة الجمهور أبلغ في النهي؛ لأنها تعطي أن الخضوع؛ سبب الطمع [٢].

فالمحافظة على الآداب الإسلامية واجب شرعي، وقد نهت الآية التي معنا أزواج النبي -ﷺ- وهن قدوة المسلمات، أن يرققن صوتهن أثناء محادثة الأجانب؛ لأنه يفضي إلى أمور قبيحة في نفس المخاطب، الذي ملأ النفاق قلبه؛ فتجعله يتلذذ بالخطاب، ويطمع فيما بعد ذلك، قال ابن عاشور: لأن المنهي عنه؛ سبب في هذا الطمع [٣].

لذا جاء جواب هذا النهي مقترن بفاء السببية؛ زيادة في النهي؛ لأن هذه الفاء تزيد في دفع الامتثال للمنهي عنه، فكان وقوعها، واقترانها بالجواب، في غاية التأثير والتنفير من هذا الأمر.

(١) البحر المحيط (٤٧٦/٨).
(٢) المحرر الوجيز (٣٨٣/٤).
(٣) التحرير والتنوير (٩/٢٢).

ثالثاً: فاء السببية في جواب الاستفهام

الموضع الأول

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

في الآية الكريمة السابقة، يحث المولى – تعالى – عباده المسلمين على الجهاد في سبيله لإعلاء كلمة الحق والدين[١]، ثم حثهم في هذه الآية، على بذل المال من أجل ذلك، وفيه دلالة على أن القتال في سبيل الله، لا يتم إلا بالنفقة، وبذل الأموال، وسماه قرضاً، فقال: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾.

قال القرطبيّ: طلب القرض في هذه الآية؛ لما هو تأنيب، وتقريب للناس بما يفهمون، والله هو الغني الحميد، لكنه – تعالى – شبه إعطاءه المؤمنين، وإنفاقهم في الدنيا الذي يرجون ثوابه في الآخرة، بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة، بالبيع والشراء[٢]، وهذا كله خرج مخرج التشريف، لمن كنّى عنه ترغيباً لمن خوطب به[٣].

وقوله: ﴿ فَيُضَاعِفَهُ ﴾ الفاء: فاء السببية، يضاعفه، فعل مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية، والهاء مفعول به، والفاعل هو، يعود إلى الله.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

(٣) تفسير القرطبي (٣/٢٤٠).

قال أبو السعود: ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام، حملاً على المعنى ، فإنه في معنى أيقرضه، جعل ذلك مضاعفةً له؛ بناءً على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظاهراً [١].

قال القاضي أبو محمد: وتحمل النصب على المعنى، لأنه لم يستفهم عن فاعل الإقراض إلا من أجل الإقراض، فكأن الكلام، أيقرض أحد الله؛ فيضاعفه له [٢].

وقوله: ﴿ أَضْعَافًا كَثِيرَةٍ ﴾ الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، قال الخازن: ﴿ فَيُضاعِفَهُ لَهُ ﴾ يعني: ثواب ما أنفق ﴿ أَضْعافاً كَثِيرَةً ﴾ قيل: هو يضاعفه إلى سبعمائة ضعف، وقال السدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلّا الله تعالى، وهذا هو الأصح، وإنما أبهم الله ذلك؛ لأن ذكر المبهم في باب الترغيب، أقوى من ذكر المحدود ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ويبسط ﴾ قيل يقبض بإمساك الرزق، والتقتير على من يشاء، ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء، وقيل يقبض بقبول الصدقة، ويبسط بالخلف والثواب، وقيل إنه تعالى لما أمرهم بالصدقة، وحثهم على الإنفاق، أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلّا بتوفيقه، وإرادته وإعانته، والمعنى: والله يقبض بعض القلوب؛ حتى لا تقدر على الإنفاق في الطاعة، وعمل الخير، ويبسط بعض القلوب؛ حتى تقدر على فعل الطاعات، والإنفاق في البر [٣].

وإذا علم الباذل أن ذلك جزاء عطائه وإنفاقه، فلابد بالغ أقصى غايات

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢٣٨/١).

(٢) المحرر الوجيز (٣٢٩/١).

(٣) تفسير الخازن (١٧٨/١).

الجود، باذل كل موجود، وليس بذاهب ما يكون في سبيل الخير، ولا ضائع ما يكون في سبيل النفع العام.

وما هذا الجزاء؛ أهو في الدنيا أم في الآخرة؛ لَا شك أن ثمة جزاء في الآخرة ، وأن جزاءها هو الجزاء الأوفى، والغاية القصوى، والأمل المرجى لكل مؤمن؛ وإن فيها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة [1].

فالاستفهام فيه معنى الطلب في قوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾، وقد جاء الجواب في قوله ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾، بفاء السببية، فالذي يبذل المال في سبيل الله لن يضيع عمله هباء، فالبذل نتيجته الحتمية؛ الثواب العظيم، فما قبل الفاء، وهو الإنفاق ؛ سبب في حدوث ما بعد الفاء، وهو الثواب، ففاء السببية وقعت موقعاً رائعاً، وربطت السبب بالنتيجة في هذه الآية الكريمة.

ولو بدلنا هذه الفاء (السببية) بغيرها من الحروف؛ لما كان له هذا التأثير العظيم، في ربط السبب بالمسبب؛ ولما كانت الآية بهذه البلاغة، والفصاحة، والإعجاز، الذي يقتضيه السياق، وكأنها تدفع الإنسان؛ لبذل المال دفعاً؛ لينال ما عند الله من الثواب الجزيل، فكان لها تأثير في نفس السامع؛ للإنفاق والبذل والعطاء، لسرعة الجزاء؛فسبحان من أنزل هذا الكلام.

(١) زهرة التفاسير (٢/٨٧٣)

الموضع الثاني

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء ٩٧].

هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة، مع القدرة عليها، وقد أدركه الموت، فالملائكة يوبخون مثل هذا، ويقولون له، ولأمثاله: ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ بل كنتم مع المشركين تقاتلون معهم، وقد كثرتم سوادهم.

قال البغوي[١]: نزلت الآية الكريمة في ناس من أهل مكة، تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، منهم قيس بن الْفَاكِهِ بن المغيرة، وقيس بن الوليد ابن المغيرة، وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر، خرجوا معهم، فَقُتِلوا مع الكفار، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾، أراد به ملك الموت، وأعوانه، أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١].

وقد روى البخاري من حديث ابن عباس –رضى الله عنه– «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ» فأنزل الله الآية[٢].

---

(١) تفسير البغوي (٦٨٥/١)

(٢) صحيح البخاري (٤٨/٦)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ، قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾.

قال الخطيب الشربيني: ﴿ قَالُوا ﴾ معتذرين مما وبخوا به ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ ﴾ أي: عاجزين عن إظهار الدين وإعلاء كلمته ﴿ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرض مكة ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الملائكة تكذيباً لهم، وتوبيخاً ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ من أرض الكفر إلى بلد أخرى، كما فعل غيركم من المهاجرين إلى المدينة والحبشة، ثم قال تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: لتركهم الواجب، ومساعدتهم الكفار ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي: جهنم [1].

وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب، لبعض الأسباب، والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله، وأدوم على العبادة، حقت عليه المهاجرة [2].

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً ﴾ استفهام، وجوابه ﴿ فَتُهاجِرُوا فِيها ﴾ فهو فعل مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية.

والشاهد في قوله: ﴿ فتُهاجِرُوا ﴾ (وهو منصوب في جواب الاستفهام، والنفي صار إثباتاً بالاستفهام، وهو استفهام بمعنى التوبيخ)[3].

فاختلاق الأعذار الواهية، قد ينطلي على الناس، ولكن ليس على رب الناس؛ ولذا قالت الملائكة لهؤلاء الذين لا يتمكنون من إظهار دينهم، ولم يفروا، إن أرض الله واسعة شاسعة، فلم لم تهاجروا وتخرجوا من بين

(١) السراج المنير (٣٢٦/١)

(٢) الكشاف (٥٥٥/١).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٥٩١/٦) بتصرف يسير.

أظهر المشركين – حال كونكم لستم مستضعفين حقيقة – وكثرتم سوادهم، وهذا نوع إعانة لهم على المسلمين.

فالاستفهام فيه معنى الطلب ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ﴾ ولذا جاء الجواب بفاء السببية ﴿ فتهاجروا ﴾ التي تربط السبب بالمسبب، فالأرض واسعة، فلماذا لم يخرجوا منها؛ حفاظاً على دينهم، وهذا زيادة في تبكيتهم، وتوبيخهم، وتهديدهم، ووعيدهم، وهذا ما أفادته فاء السببية، الواقعة في جواب الاستفهام.

رابعاً: فاء السببية في جواب التمني

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣].

يتحدث المولى – جل وعلا – عن صفات المنافقين بعد تحذيره المؤمنين من شرهم، وذكر من صفاتهم التباطؤ في الجهاد، وأنه من شيمهم وديدنهم، وأن الواحد منهم يفرح بالهزائم التي تحل بالمسلمين في المعارك.

وفرحه من ناحيتين: من ناحية أنه ليس معهم؛ فقد يدركه الموت، لو كان معهم، ومن ناحية أنهم هزموا، وليس كذلك فحسب، بل حينما ينتصر المسلمون، يصيبه اضطراب، وتذبذب، فلا يعي ما يقول، فيتحسر على ما فاته من غنيمة، ويصف الله – تعالى – حالته التي يرثى لها بهذه الآية الكريمة.

فيقول على لسانه: (﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ ﴾ أي: بمشاركتهم في ذلك ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ وذلك لأنه لو كان ذا مودة لقال حال المصيبة: يا ليتها لم تصبهم! ولو كنت معهم؛ لدافعت عنهم)[1].

والشاهد في تمنيه حضور المشهد؛ كي يفوز بالمغنم، وهو قوله: ﴿ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ فهو فعل مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد فاء السببية.

فقراءة النصب محل شاهدنا، وهو قوله: ﴿ فَأَفُوزَ ﴾ حيث نصب بالفاء في جواب التمني[2].

---

(١) نظم الدرر (٥/٣٢٥).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٧٨)، تفسير النسفي (١/٣٧٣).

قال ابن عادل: الجمهور على نصْبه في جواب التمني، وهو الصحيح، لأن الفاء تعْطِف هذا المصدر المؤوَّل من «أنْ» والفعل على مصدر مُتوهّم، لأن التقدير: يا ليتَ لي كوْناً معهم – أو مُصاحبتهم – ففوْزاً [١]

فالفوز والظفر لدى هذا المنافق مادي ، كذلك الخسارة والهزيمة، فلا يرى أمامه إلا هذا، ولذا نجده يلوم نفسه، ويتحسر، ويتمنى لو كان مع المسلمين وقت انتصارهم كي يفوز بالمغنم معهم؛ وربط الكلام بفاء السببية دون غيرها، كان له تأثيره الجلي في نفس القارئ، أو السامع في بيان شخصية ذلك المنافق.

(١) اللباب في علوم الكتاب (٦/٤٩٢).

خامساً: فاء السببية في جواب الترجي

الموضع الأول

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبابٍ ﴾ [غافر ٣٦: ٣٧].

في الآية الكريمة يقول – تعالى – مخبراً عن فرعون، وعتوه، وتمرده، وافترائه على تكذيبه موسى –عليه السلام– أنه أمر وزيره هامان، أن يبني له صرحاً، وهو القصر العالي الشاهق.

وقوله: ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴾ أي: " أبواب السموات، وقيل: طرق السموات ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله –عز وجل– أرسله إليه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً؛ يَتوصَّلُ به إلى تكذيب موسى –عليه السلام–؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ ﴾ يعني إلا في خَسَار " [1].

فقوله تعالى: ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والفاعل مستتر، قال العلماء: وقرأ الجمهور: «فأطلع» بالرفع عطفاً على «أبلغ»، وقرأ حفص عن عاصم «فأطلع» بالنصب بالفاء في جواب التمني[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٤/٧).

(٢) تفسير لابن عطية (٥٦٠/٤)، تفسير البيضاوي (٥٨/٥).

وقال الزمخشري: على جواب الترجي، تشبيهاً للترجي بالتمني[١]، قال ابن عاشور: وإن كان ذلك غير مشهور[٢].

وقد فرَّق النحاة بين التمني والترجي، فذكروا أن التمني يكون في الممكن والممتنع، والترجي يكون في الممكن، وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن، لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن؛ تمويهًا على سامعيه [٣].

وقد تكون هاهنا نكتة، وهي استعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني، على وجه الاستعارة التبعية، إشارة إلى بُعْد ما ترجاه، وجعل نصب الفعل بعده؛ قرينة على الاستعارة [٤].

والشاهد هنا أن فرعون الخبيث أراد أن يموه على العامة من الناس، وذلك بأمره لوزيره هامان، ببناء ذلك الصرح العالي؛ كي يتمكن – في مخيلته – من الوصول للذات العلية -ﷻ- فجعل بناء الصرح؛ سبباً يوصله لمراده.

قال البقاعي: ولما ذكر هذا السبب، ذكر المسبب عنه فقال: ﴿فاطَّلع﴾ أي فلعله يتسبب عن ذلك، ويتعقبه، أني أتكلف الطلوع ﴿ إلى إله موسى ﴾، ونصبه على الجواب تنبيهاً على أن ما أبرزه الخبيث في عداد الممكن، إنما هو تمني محال، غير ممكن في العادة [٥].

---

(١) الكشاف (١٦٧/٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٤٦/٢٤).
(٣) البحر المحيط (٢٥٨/٩).
(٤) التحرير والتنوير (١٤٦/٢٤).
(٥) نظم الدرر (٦٩/١٧).

فهذا الكاذب اللعين جعل لنفسه مقدمة تقوده؛ لنتيجة متوهمة، فيريد أسباباً توصله إلى الله العظيم؛ كي يقضي عليه؛ فجاء الأمر لهامان ببنيان القصر الشامخ العالي حتى يبلغ مراده، وقد جاء الجواب مقترناً بفاء السببية ﴿ فأطلع ﴾ زيادة في التمويه، والتلبيس؛ حتى يثبت دعواه الزائفة، وجعل الشيء المستحيل في صورة الممكن، وذكر العلة والجواب، وأدخل عليها الفاء التي تفيد أن ما قبلها سبب فيما يكون بعدها، زيادة في التلفيق والتمويه، وزيادة في تحفيز هامان، وزيادة في التأثير على الناس؛ كي ينصتوا لما يقوله، ويأتمروا بأمره، وكأن الأمر في الإمكان، وفي متناول يده.

الموضع الثاني

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ [عبس: ٣:٤].

هذه الآية واردة في بداية سورة (عبس)، وسبب نزول الآيات الأُوَل منها، أنه جاء رجل من المسلمين وهو عبدالله بن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى يسأل النبي -ﷺ- عن أمر من أمور الدين كي يتعلم منه، وكان بجواره رجلاً من زعماء قريش، وكان -ﷺ- حريصاً على هداية الناس، فما كان من أمره -ﷺ- إلا أنه استمع إلى الغني، متمنياً إسلامه، وعبس في وجه ابن أم مكتوم؛ فعاتبه ربه عتاباً لطيفاً.

وفي صحيح ابن حبان، عن عائشة قالت: أنزلت: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ في ابن أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، قَالَتْ أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ-، فَجَعَلَ يَقُولُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، قَالَتْ: وَعِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " يَا فُلَانُ أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بأساً "، فيقول: لا، فنزلت[١].

قال الزمخشري: ﴿ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ أي: يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ ﴾ أو يتعظ ﴿ فَتَنْفَعَهُ ﴾ ذكراك، أي: موعظتك، وتكون له لطفاً في بعض الطاعات، والمعنى: أنك لا تدرى ما هو مترقب منه، من تزكّ أو تذكر، وقيل: الضمير في﴿ لَعَلَّهُ ﴾ للكافر،

(١) صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط (٢/٢٩٤)، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

يعنى أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام، أو يتذكر فتقرّبه الذكرى إلى قبول الحق، وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن [١].

وقال الواحدي: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك، أو يتذكر، فيتعظ بما تعلمه من مواعظ القرآن ﴿ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾[٢].

فقوله تعالى: ﴿ فَتَنْفَعَهُ ﴾ الفاء للسببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء السببية، والهاء مفعول به.

وقد قرأ جمهور السبعة: «فتنفعه» بضم العين عطفاً على ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ ، وقرأ عاصم وحده «فتنفعه» بالنصب في جواب التمني، لأن قوله: ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ ﴾ في حكم قوله: ﴿ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾[٣].

وقال البيضاوي: بالنصب جواباً لـ (لعل)[٤]، فمن نصب، فعلى جواب التَّرجي كقوله: ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ [غافر: ٣٧][٥]، والقراءات المتواترة متقاربة فيما بينها، وفي الغالب تكون إحداهما متضمنة للأخرى.

والشاهد على ذلك اقتران جواب (لعل) التي للترجي، بفاء السببية، فقد عاتب المولى – تعالى – حبيبه –ﷺ– في الإعراض عن ذلك الصحابي الجليل ابن أم مكتوم، والاهتمام بذلك المشرك الزعيم، وبيّن أن

---

(١) الكشاف (٤/٧٠١).

(٢) التفسير الوسيط، للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ/ علي محمد معوض (٤/٤٢٢)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٣) تفسير ابن عطية (٥/٤٣٧).

(٤) تفسير البيضاوي (٥/٢٨٦).

(٥) اللباب (٢٠/١٥٥).

الأمر بيده -ﷻ- في هداية من يشاء، فالواجب السير على المنهج، دون الالتفات إلى النتائج.

مع أن النبي -ﷺ- كلح في وجه أعمى، أي أن النبي -ﷺ- لم يقل له شيء سمعه فكرهه، ولكن المنهج واحد، وهو الإصغاء والاستماع لمن يريد التعلم، كائناً من كان، وسبَّب عن تزكيه، وتذكره قوله: ﴿ فتنفعه ﴾؛ فلذا جاء جواب الترجي مقترناً بفاء السببية المؤذنة بتزكيته ونفعه لتلك التعاليم العظيمة، فالترجي الذي هو طلب، جاء جوابه مقترن بفاء السببية؛ زيادة في الامتثال للأمر، وتأثيراً في نفسه -ﷺ- كي يسير وفق تعاليم ربه -ﷻ-.

وقد امتثل -ﷺ- لتلك التعاليم الربانية، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، فكان قرآناً يمشي على الأرض، وكان كلما شاهد ابن أم مكتوم، يقول له مرحباً بالذي عاتبني فيه ربي[1]، فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

(١) هذه الرواية ذكرها الواحدي في أسباب النزول ٤٤٩/١ (٥١٧) ، وأصلها ثابت في الرواية التي ذكرتها آنفا ، وقد جاءت في تفاسير عدة منها: الكشاف (٧٠١/٤)، تفسير البيضاوي (٢٨٦/٥)، تفسير ابن جزي (٤٥٢/٢)، تفسير أبي السعود (١٠٧/٩)، وذكرها البغوي في تفسيره ٣٣٢/٨ ، وغيرهم.

سادساً: فاء السببية في جواب التحضيض

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

يأمر الله – تعالى – عباده المؤمنين بالإنفاق في سبيله؛ ابتغاء مرضاته، ورفقاً بالمحتاجين ، والنفقة إذا ابتغي بها وجه الله خير في كل أحوالها، فحثهم المولى – تعالى – بالبذل والعطاء قبل إتيان الموت، ولهذا قال: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ ﴾ نادماً ومتحسرًا على ما اقترفته يداه، وما فرّط من وقت، فيسأل ربه أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى، ولو وقت قريب؛ حتى يتصدق ويفعل الخير ﴿ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّق وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ولكن هيهات قد فات الأوان، ولهذا قال: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازي كل بعمله، من خير وشر.

فـ ﴿ لَوْلا ﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا، وقوله ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ الفاء للسببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، والفاعل مستتر، وهو جواب لولا، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق، وأكن من الصالحين.

قال ابن الجوزي: و ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي ﴾ أي: (هلاَّ أخرتني إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ يعني بذلك الاستزادة في أجله؛ ليتصدَّق، ويزكّي، وهو قوله -ﷺ-: ﴿ فأصدق ﴾ وهو منصوب، لأن كل جواب بالفاء للاستفهام منصوب،

تقول: مَنْ عندك فآتيَك، هلاَّ فعلت كذا فأفعَل كذا[١]، وجزم ﴿ أَكُنْ ﴾ للعطف على موضع الفاء، وما بعده[٢].

فقوله: ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ جواب ﴿ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ عطف على موضع الفاء، وهو الجزم لأنها واقعة في الجزاء، لا على ما بعد الفاء، وهو النصب بعد فاء السببية.

فلو جاء بالواو مثلاً بدل الفاء؛ لما كان صادقاً في دعواه، وطلبه، ولما وقعت ذلك الموقع في إظهار تحسره، وندمه، فسبحان من رتب كلامه ترتيباً، وجعل كل حرف من كتابه في موضعه.

إن كل كلمة في القرآن الكريم في موقعها المناسب، منسجمة مع ما قبلها، وما بعدها؛ مؤدية المعنى المطلوب، فالتناغم بين الكلمات هذا، لا يمكن إلا أن يكون كلام الحميد المجيد- سبحانه وتعالى- وصدق قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبدالرزاق المهدي(٤/٢٩٠)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير البيضاوي (٥/٢١٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن الوقوف على حروف المعاني، والاتصال بها، ومدارستها، وإمعان النظر فيها؛ من عُرَى المعرفة والإفادة.

ولقد درست حرفاً من هذه الحروف (فاء السببية)، وقد تناولت بالدراسة ما اتفق وطبيعة الموضوع، وما تطلبته من إجراءات، ووسائل تفسيرية تخدم الغاية من البحث.

وبعد العرض المقتبس من شذرات نور القرآن الكريم، دارساً ما حوته آيات تتضمن (فاء السببية)؛ أتوقف عند بعض النتائج المستخلصة والتي يمكن إجمالها في الآتي:

١- القرآن الكريم من خلال تلك الدراسة يتبين لنا أنه كتاب يحث على إعمال العقل والفكر، حتى في أبسط جزئياته، بل في حروفه؛ فلا تنقضي عجائبه.

٢- حروف المعاني تنقسم إلى قسمين، حروف عاملة، تعمل فيما بعدها، وحروف مهملة، وحروف المعاني منحصرة في خمسة أقسام: أحادي وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي.

٣- لحروف المعاني آثار مهمة في فهم النص القرآني؛ فهي تفيد معنى معين وتربط الأفعال بالأسماء، والأسماء بالأسماء، وتربط الجمل بعضها ببعض، وتبين العلة في ذلك.

٤- حرف الفاء له معان عدة، منها السببية، ويكون الفعل المضارع بعدها منصوباً بأن مضمرة وجوباً.

٥- فاء السببية حرف من حروف المعاني، وتدل أن ما قبلها سبب في حصول ما بعدها، وتكون مسبوقة بطلب أو نفي.

٦- الإعجاز في ربط الكلام، والجمل بفاء (السببية) أسلوب يزخر به النظم القرآني، وهو أسلوب بلاغي معجز، يلائم الحال، ويقتضيه السياق.

٧- اقتران فاء السببية بالجواب، سواء سبقها نفي أم طلب، لها تأثيرها نفياً أو إيجاباً، أمراً، أو نهياً، حضاً، أو تنفيراً، بغض النظر عن كون القائل صادقاً في دعواه أم كاذباً؛ فقد يبرز المتحدث صورة غير الممكن في صورة الممكن؛ تمويهًا على سامعيه؛ ليضلهم.

٨- الطلب يشمل الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والدعاء والتحضيض.

٩- الأمر يأتي بمعنى الدعاء، إذا كان من الأدنى إلى الأعلى.

١٠- مجيء فاء السببية في (جواب النهي) ، أكثر وروداً من غيره في القرآن الكريم.

١١- النفي قد يصير إثباتاً بالاستفهام ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾.

١٢- الترجي غير التمني، فالتمني يكون في الممكن والممتنع، والترجي يكون في الممكن، ولكن قد يأتي الجواب المقترن بفاء السببية منصوباً في جواب التمني، مع جواز كونه في جواب الترجي، تشبيهاً للترجي بالتمني، وإن كان ذلك غير مشهور ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾.

١٣- يجوز استعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني على وجه الاستعارة التبعية إشارة إلى قرب ما ترجاه الشخص، وجعل نصب الفعل بعده قرينة على الاستعارة ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (جلّ من أنزله).

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير، ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
- تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- جامع الدروس العربية لمصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د/ فخر الدين قباوة، الأستاذ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ محمد علي معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لأبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د/ حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د/ يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- فتح القدير للشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.
- الكشاف للعلامة الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
- الكليات لأبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- محاسن التأويل، للقاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
- المخصص لابن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، المحقق: د/ علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد

ابن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، الدكتور/ أحمد محمد صيرة، الدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور/ عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.